

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

• المقياس:

" مدخل إلى الأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية "

• نوع الحصة: تطبيق .

• إعداد الأستاذ: بوعمامة وحيد .

• الدرس الخامس بعنوان:

## رواية النول (النسيج) لمحمد ديب: (Le métier à tisser)

• المستوى: السنة الثانية آداب ( ليسانس ) .

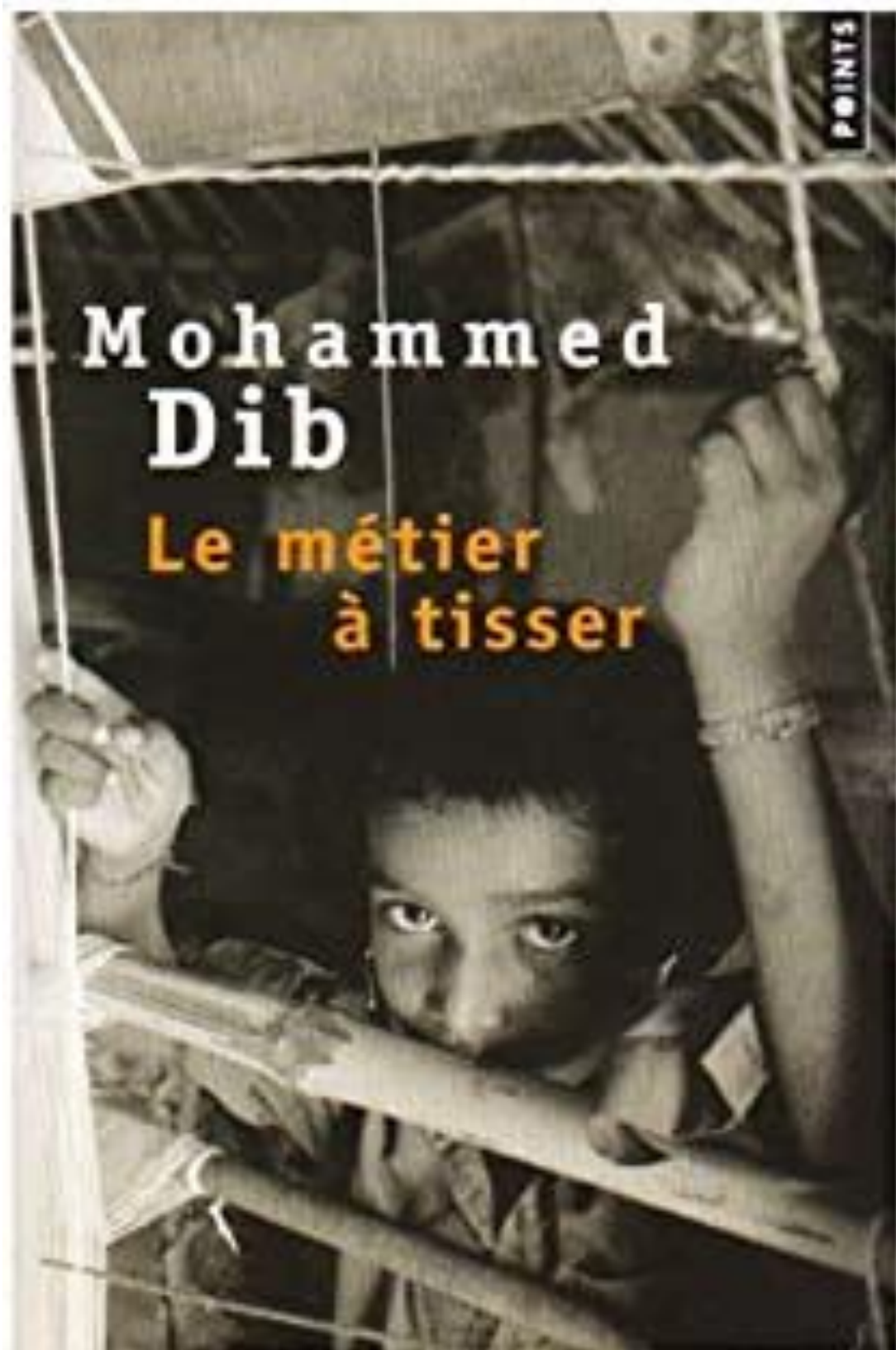
• الأفواج: الفوج السادس (06) والفوج السابع (07) .

• العام الدراسي: 2022 / 2021 .

POINTS

Mohammed  
Dib

Le métier  
à tisser



محمّد ديب  
مترجمة  
الدكتور سامي الدروبي

# النول



روايات الملاي

## رواية النول لـ: محمد ديب

## ❖ تمهيد:

صل في نهاية المطاف إلى الجزء الثالث والأخير من هذه الثلاثية موضوع دراستنا. ولئن كنا قد رأينا صورة عن حياة الأسر الفقيرة البائسة وعشنا معها من خلال شخصية الفتى " عمر " في رواية " الدار الكبيرة " ثم انتقلنا مع البطل نفسه، في رواية " الحريق " إلى الريف فاطلنا على الواقع البائس واستغلال المستعمرين وأصحاب الأراضي للفلاحين،

إن رواية " النول " تعود بنا، مع البطل " عمر "، إلى المدينة، (مدينة تلمسان) لتصور لنا قطاعاً آخر هو قطاع العمال وترسم لنا واقعهم الاجتماعي والاقتصادي، وما يدور في ضمائرهم، محاولة بذلك إتمام الصورة العامة للجزائر إبان الاستعمار الفرنسي، وفي فترة الحرب العالمية الثانية على وجه الدقة. وتكون الثلاثية بذلك قد صورت الواقع العربي في الجزائر في شتى جوانبه ومختلف طبقاته، مع إلحاح خاص على الطبقات الشعبية الفقيرة المستغلة، من فلاحين وعمال<sup>1</sup>.

هذا البطل الذي تعرف على حياة ورشة النسيج مع النساجين واكتشف مدى البؤس والعوز في رحاب الطابق السفلي من الورشة، هذه الحياة حتماً ستقره من معرفة حقيقة ما يدور حوله، من أجل أن يفهم جيداً صورة الاستعمار الذي يخنق كل ما له علاقة بالجزائري، حيث يعطي محمد ديب الكلمة لهؤلاء الأشخاص للتعبير عن بؤسهم من خلال الحوار الذي يجري بين عيني وابنها بشأن المتسولين القادمين من كل الجهات<sup>2</sup>

لقد كانت وظيفة " عمر " في ورشة النسيج أقرب ما يكون بنافاذة تطل على واقع الاستعمار الفرنسي، بحيث أنها ستقره بشكل أفضل وواضح للاستعمار بكل قمعه ووحشيته، فيتعلم " عمر " المعنى الحقيقي للعيش في ظل الاضطراب والجوع داخل الورشة، بدون الحرية المطلقة وعدم وجود ضوء الشمس، وكذا أنه سيستمع إلى المناقشات التي لا تنتهي مع زملائه، الذين يبحثون دائماً عن أدنى تحسن<sup>3</sup>.

## ❖ دراسة الرواية:

في هذه الرواية يعود بنا المؤلف إذا إلى تلمسان، وإلى الدار الكبيرة نفسها التي كانت موضوع الجزء الأول، إلا أنه لا يتوقف عندها إلا لحظات فصارا، فما من شيء قد جد في حياة الدار، وما من شيء في بؤس أسرة البطل أو أسر جيرانه قد تغير، فأختاه ما تزالان تعملان في المصنع، وأمه تزداد شقاء على شقاء فلا يتاح لها أن تدبر معاش الأسرة إلا بشق النفس، "والمرأة الوحيدة يدب إليها الهرم قبل غيرها". كما قالت إحدى النسوة، وما أشد ما ينطبق هذا القول على الأم المعذبة عيني. وليس غريباً أن نسمعها تصرخ في بؤسها ووحدتها وشقائها هذه الصرخة التي تعبر عن آلام جموع من الناس غفيرة: "على هذه الأرض اللعينة ولدنا كما يولد العار، وأكلنا كما نأكل الحثالات، وتركنا كما يترك المنبوذون، حتى خبزنا أسود كسواد هذا الليل الذي يلفتنا بظلامه"<sup>4</sup>، أما فتاته (زهور) التي فرض عليها الزواج فرضاً، فقد عادت في هذه الرواية التي أسرتها في الدار الكبيرة. لقد أخفق زواجها وتركت زوجها بعد ما قاست ما قاست " لقد علم عمر بهذه التفاصيل من أحاديث أخته، أما زهور فكان يلمحها من بعيد، لحظات فصارا، وقد ارتدت ثوبها المصنوع من حرير بلون الورد، وعلقت بأذنيها قرطين من ذهب، لشد ما تغيرت"<sup>5</sup>، وهكذا انقطعت الأسباب التي تربط عمر بهذه الفتاة بعد أن تزوجت وعادت إلى بيتها مطرودة أو ربما مطلقة .

فإذا ما انتقلنا إلى هيكل الرواية وجدنا " محمد ديب " يقيم بنية رواية " النول " على حدثين

أساسيين:

01- عمل " عمر " في معمل للنسيج، وهذا ما أعطى الرواية عنوانها.

02- ظهور جموع غفيرة من المتسولين اجتاحوا المدينة وشكل ظهورهم ظاهرة غريبة،

ومن تضافر هذين الحدثين ينقل إلينا الواقع الحي في أرض الجزائر، ولقد ترك " عمر " المدرسة إلى الأبد، وأمضى شهور الصيف في (بني بوبلان) وها هو ذا الآن في تلمسان وقد بلغ الخامسة عشرة من عمره ولا بد له من أن يعمل، وكان على أمه عيني أن تسعى لإيجاد عمل له. ولهذا فقد قصدت منزل (ماحي بوعنان) والتمست منه أن يساعد ابنها اليتيم، فأمرها أن ترسله إلى

معمله، وبين دخول " عمر " المعمل في أول الرواية وخروجه منه في آخرها مطروداً إثر مشاجرة دامية مع " حمدوش " أحد العمال، يبسط الروائي أمامنا صورة واسعة عن حياة العمال وبؤسهم وسلوكهم، ويعرض نماذج عديدة منهم، وشخصيات متميزة متباينة متخاصمة تعكس بمجملها الحياة في الجزائر، وما يعتمل في أعماقها من اتجاهات فكرية وما تتطوي عليه من بؤس واستغلال ورؤى وأهداف ومشاعر ونقمة ورغبة في الثورة والتحرر<sup>6</sup>.

لقد وفق الروائي في اختيار جو المعامل لتصوير الواقع في هذه الفترة بشكل خاص، ذلك بأن الصناعة قد نشطت في هذه الآونة بسبب الحرب نشاطاً كبيراً، واستقطبت المعامل كثيراً من العمال، وأن دراسة وضع العمال ليشخص الواقع في الجزائر خير تشخيص.

إن المدينة القديمة التي كانت مدينة أصحاب حرف، تضحى الآن بغفوها العتيق وتستحيل إلى ما يشبه مدينة صناعية، ومنذ انطلق هذا اللهب، عدل الحائكون من تلقاء أنفسهم عن تعسفهم القديم، فهم الآن ينتزعون من أيدي البائعات أي صوف مهما يكن شأنه، " وتكاثرت المناسج والمعامل تكاثراً مبالغاً، بينما كانت تسافر إلى فرنسا بغير توقف سجاجيد وأغطية"<sup>7</sup>

لقد كان مسار هذا القطاع عن طريق عمل " عمر " في المصنع الذي يضمّ المئات من العمّال من مختلف الأطياف والأعمار، ونغوص أكثر في العقلية العامة للشعب آنذاك، عن طريق الأحاديث الكثيرة التي تجري بينهم وما تضمنته من شكاوى ونكت وتذمّر وشجارات في أحيان كثيرة. ونفهم بطريقة أوضح الهوية الفاصلة بين الرئيس الممثل للاستعمار، وعماله الذين كانوا بلا قيمة بالنسبة له، إضافة إلى وجود شخصيات مؤثرة واعية أتمّ الوعي بواقعها ومستعدة للثورة والتمرد في أيّ حين<sup>8</sup>.

لقد كان احتكاك " عمر " فاحتك بهم وشاطرهم حياتهم اليومية، واستطعنا نحن أن نتابع ذلك كله معه. كان هذا المعمل يضم عدداً من العمال بينهم الفتى اليافع والشيخ الطاعن في السن، المستسلم المسكين والهائج الثائر، الخاضع لمصيره ووضع الحياتي والمتمرد عليه، الواعي لبؤسه وأسباب بؤسه والغافي الغافل عن الخيوط التي تحرك حياته وتتلاعب به، ووراء ذلك كله هناك

الفتى عمر الذي يسمع أحاديث العمال ويعيها ويحاول أن يعرف ويدرك بعض ما يعرفون ويدركون، ويعاني كثيراً مما يعانون. ذلك بأن الروائي يعرض في هذه الرواية، بأسلوبه الواقعي الذي عرفناه في الروايتين السابقتين، وبدقة بالغة، جو المعمل، فيحدثنا عن تصرفات العمال وسلوكهم وما يدور بينهم من أحاديث ومناقشات تتعلق بحياتهم الخاصة والحياة العامة في الجزائر، ونحن نستمع إلى تعليقاتهم ونكاتهم وشكواهم وتذمرهم، ونشاهد المشاجرات التي تجري بينهم والسباب والشتم والكلمات الماجنة التي تدور ألسنتهم بها، فهذا الاحتكاك الدائم يقرب بينهم كما يثير فيهم الخصام العنيف.

وتطل شخصية المعلم " ماجي بوعنان " صاحب المعمل بين حين وآخر مسيطرة مهيمنة على المعمل، وهو إذ يزور المعمل بين الفينة والفينة يصمت العمال فجأة ويتوقف المتخاصمون عن الخصام ويكب كل على عمله وأنه لعمل مرهق شاق، يقول محمد ديب في وصف ذلك: " العمال يدفعون المكايك ويخبطون الأمشاط، وقد تجهمت وجوههم وصمتوا لا ينبسون بكلمة، والضربات تدوي معاً كأنها عدة مذاق تهوي في آن واحد، وقد بلغت من السرعة والأحكام أنها لا تكاد ترى في هذه الضوء الضعيف الساقط من عين النافذة العالية الصغيرة. ومن حين إلى حين ينتصب أحد الحائكين ليجفف وجهه الغارق في العرق"<sup>9</sup>.

لقد كان وعي العمال لواقعهم ومحاولتهم التمرد على هذا الواقع، وتمزقهم ورفضهم لمصيرهم إنما يتجلى من خلال شخصيات ثلاث تتفاوت في ملامحها وطريقة تفكيرها ووعيها وسلوكها، إلا أنها في مجملها شخصيات متمردة يرتفع صوتها مدوياً بين حين وآخر<sup>10</sup>، فإذا علمنا أنه يعتبر حالة العامل هي مقياس رفاهية الشعب وكرامة الأمة أدركنا مدى الألم الذي يعيش فيه. ولهذا فإن هؤلاء الناس الذين فقدوا كل شيء، عليهم، في رأيه، أن يطالبوا بكل شيء، وهو يدعو، من أجل تحقيق ذلك، إلى ثورة كبرى، ثورة حقيقية يسترد فيها الناس إنسانيتهم: " لقد وصلنا الدرك الأسفل، فلن تجدنا الطرق العادية من أجل أن نعود فنصبح بشراً، لا بد لنا في سبيل ذلك من أن نقلب العالم رأساً على عقب، وربما كان علينا أن نروعه"<sup>11</sup>. إن حديث المفكرين الاقتصاديين عن

الاستلاب يتجسد حيا في شخصية هذا العامل الذي وعي وضعه الإنساني وأدرك حقيقة الواقع الاستعماري المحقق به ومدى تهديمه للنفس الإنسانية.

ولعل أهم ما يميز شخصية عكاشة إيمانه بالشعب وإشادته به وحبه إياه حتى لنسمعه يقول: " الشعب ملكوت الله.. الشعب روح العالم ... وهو يشعر بمسؤوليته عن الوضع البشري الذي يعيش فيه هذا الشعب، وهذا ما يضاعف ألمه، أن ألمه ليس ألماً شخصياً وحسب بل إنه يعاني آلام الشعب كله ولكنه، إلى ذلك واثق من أن هذا الشعب سوف يتحرر ويغير وضعه ... لقد أهين شعبنا كثيراً... وسيخرج من ذلك أمر رهيب هائل"<sup>12</sup>، ولا بد أن نشير هنا إلى محور ثان يشكل إيقاعاً ثابتاً في هذه الرواية إلى جانب تصوير جو المعمل ودراسة وضع العمال وواقعهم، ونعني به ظهور جماعة غفيرة من المستولين الذين انحدروا من الجبال فملؤوا طرقات تلمسان وساحاتها حتى غصت بهم المدينة، ولم تجد كل محاولات السلطة في إبعادهم وطردهم، ويدرس الروائي " محمد ديب " بأسلوبه السلس المشوق لنعرف أكثر عن ظاهرة اجتماعية انتشرت في تلك الأثناء والمتمثلة في التسول وكثرة المتسولين عن طريق وصفه للباسهم وهيئاتهم وكيف أنهم نزلوا من جبال تلمسان إلى المدينة أملا في الحصول على ما يبيقهم أحياء، ليربط السبب الأول والأخير لذلك بالاستعمار الفرنسي يعرج، وقد نظمت السلطات الاستعمارية حملة جمع هؤلاء المتسولين من أجل إبعادهم عن المدينة، على قول ممثل السلطة الفرنسية الحاقدة على أنهم مجرد حشرات لا بد من تطهير المدينة منهم، لكن لم تفلح هذه السياسة الاستعمارية لكون شح مناصب الشغل وكذا المعاملة السيئة من قبل جنود الاحتلال الفرنسي جعل من تلك الظاهرة تعود بأكثر قوة من ذي قبل<sup>13</sup>، ولا يلبث الناس أن يدركوا أن وجود هؤلاء المتسولين الفقراء الذين ضاقت بهم الأرض إنما مرده إلى الاستعمار، فإذا كان العمال يحيون حياة بائسة تفتقر إلى العدالة، وإذا كان هناك متسولون مشردون فإن التهام المستعمر لخيرات البلاد هو الذي جعل الناس يصيرون إلى هذا الوضع. يقول أحد أبطال الرواية: " هؤلاء ليسوا حشرات. إن الحشرات التي انقضت على بلادنا هي التي صيرت أخوتنا إلى هذه الحال ".

وإلى جانب ذلك فإن عناية " محمد ديب " بالتفاصيل الصغيرة من حياة الناس التي طالعنا بها في الروايتين السابقتين ما تزال تميز أسلوبه وفنه في هذه الرواية. نجد ذلك مثلاً في



تصوير توزيع الفحم بسبب ضائقة الحرب وتوزيع الدقيق، والاعتقالات وغير ذلك من صور الحياة اليومية التي تعكس دقائق حياة الناس الفقراء ومعاشهم. ولم ينس قط شعوره بالطبيعة وإحساسه بها، وإذا كان في الجزأين السابقين قد صور الصيف والشتاء فإنه، في هذه الرواية، يعبر عن إحساسه بالربيع، الربيع في مدينة تلمسان ذاتها. يقول في ذلك: " ولد الربيع في ليلة. انبتق انبتاقاً مفاجئاً: سيول من الضياء تتدفق بعد ذلك الظلام الطويل. المدينة تفتح رتيها وقد تخلصت من الثقل الذي كان جائماً على صدرها. أوراق الأشجار عادت تنبت الأغصان السود التي غشيتها رغبة خضراء. والنهار استرد دفئه الجميل "14.

وفي الأخير نخلص من ذلك كله إلى القول أن " محمد ديب " قد رسم بثلاثيته هذه صورة متكاملة للحياة في الجزائر في شتى جوانبها وللناس في مختلف طبقاتهم وللطبيعة في تقلب فصولها، فبرهن على قدرة روائية كبيرة بطموحه الروائي الكبير هذا. كما برهن عن رؤية صادقة دقيقة للواقع وتفسير عميق لهذا الواقع، وإدانة للمستعمر الذي عات فيه فساداً. فكانت روايته بأجزائها الثلاثة صرخة احتجاج على الاستعمار واليأس الإنساني ورفضاً للظلم وإيماناً عميقاً بالإنسان.

## ❖ وللاطلاع أكثر على الدرس يرجى العودة إلى المراجع التالية:

- (1): جورج سالم، " محمد ديب في ثلاثية "الجزائر" حياة شعب في تجربة روائية "، منتديات ستار تايمز،  
https://www.startimes.com/?t=28296582، 2011/06/09
- (2): جمال ع، " ثلاثية محمد ديب مكنت الجزائريين من ولوج عالم الرواية على هامش الأيام الدراسية حول أعمال  
الراحل "، جريدة " الفجر " الالكترونية، 2013/12/16، https://www.djazairiss.com/alfadjr/262321
- (3): Nacer Berbaoui, « **Écriture de la fragmentation et discontinuité énonciative chez Mohammed Dib dans les romans Le métier à tisser et L'infante maure** », revue **INSANYAT**, https://journals.openedition.org/insaniyat/14740
- (4): محمد ديب، " النول "، دار الهلال، العدد 264، ديسمبر 1980، ص 24.
- (5): محمد ديب، " النول "، ص 25.
- (6): ينظر: جورج سالم، المرجع السابق.
- (7): محمد ديب، " النول "، ص 26.
- (8): ينظر: ربحان مرغم، " الدار الكبيرة والحريق والنول: جزائر الثورة ومعركة الخبز والطفولة المسروقة "، موقع  
أراجيك، 2020/10/23، https://www.arageek.com/2020/10/21/mohammed-dib-novels
- (9): محمد ديب، " النول "، ص 27.
- (10): ينظر: جورج سالم، المرجع السابق.
- (11): محمد ديب، " النول "، ص 30.
- (12): محمد ديب، " النول "، ص 34.
- (13): ينظر: ابراهيم محمد، " الأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية "، الحوار المتمدن، 2016/12/13،  
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=541146
- (14): محمد ديب، " النول "، ص 37.